وإنما قال : " ميتا " لأ البلدة في معنى البلد في قوله : " فسقناه إلى بلد ميت " فاطر : 9 ، وأنه غير جار على الفعل كفعول ومفعال ومفعيل . وقرئ : نسقيه بالفتح . وسقى وأسقى : لغتان . وقيل : أسقاه : جعل له سقيا . الأناسي : جمع إنسي أو إنسان . ونحوه ظرابي في ظربان على قلب النون ياء والأصل : أناسين وظرابين . وقرئ بالتخفيف بحذف ياء أفاعيل كقولك : أناعم في : أناعيم . فإن قلت : إنزال الماء موصوفا بالطهارة وتعليله بالإحياء والسقي يؤذي بأن الطهارة شرط في صحة ذلك كما تقول : حملني الأمير على فرس جواد لأصيد عليه الوحش . قلت : لما كان سقي الأناسي من جملة ما أنزل له الماء وصفة بالطهور إكراما لهم وتتميما للمنة عليهم وبيانا أن من حقهم حين أراد ا لهم الطهارة وأرادهم عليها أن يؤثروها في بطونهم ثم في ظواهرهم وأن يربئوا بأنفسهم عن مخالطة القاذورات كلها كما ربأ بهم ربهم . فإن قلت : لم خص الأنعام من بين خلق من الحيوان الشارب ؟ قلت : لأن الطير والوحش تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب بخلاف الأنعام ولأنها قنية الأناسي وعامة منافعهم متعلقة بها فكان الإنعام عليهم بسقي أنعامهم كالأنعام بسقيهم . فإن قلت : فما معنى تنكير الأنعام والأناسي ووصفها بالكثرة ؟ قلت : معنى ذلك أن عليه الناس وجلهم منيخون بالقرب من الأودية والأنهار ومنابع الماء ففيهم غنية عن سقي السماء وأعقابهم - وهم كثير منهم - لا يعيشهم إلا ما ينزل ا من رحمته وسقيا سمائه وكذلك قوله : " لنحي به بلدة ميتا " يريد بعض بلاد هؤلاء المتبعدين من مظلن الماء . فإن قلت : لم قدم إحياء الأرض وسقي الأنعام على سقي الأناسي ؟ قلت : لأن حياة الأناسي بحياة أرضهم وحياة أنعامهم فقدم ما هو سبب حياتهم وتعيشهم على سقيهم ولأنهم إذا ظفروا بما يكون سقيا أرضهم ومواشيهم لم يعدموا سقياهم .

" ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفورا " يريد : ولقد صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن وفي سائر الكتب والصحف التي أنزلت على الرسل عليهم السلام - وهو ذكر إنشاء السحاب وإنزال القطر - ليفكروا ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه ويشكروا " فأبى " أكثرهم إلا كفران النعمة وجحودها وقلة الاكتراث لها . وقيل : صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة والأوقات المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل . وجود ورذاذ وديمة ورهام فأبوا إلا الكفور وأن يقولوا : مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع ا ورحمته . وعن ابن عباس Bهما : ما من عام أقل مطرا من عام ولكن ا قسم ذلك بين عباده على ما شاء وتلا هذه الآية . وروي أن الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام لأنه لا

يختلف ولكن تختلف فيه البلاد . وينتزع من ههنا جواب في تنكير البلدة والأنعام والأناسي كأنه قال : لنحيي به بعض البلاد الميتة ونسقيه بعض الأنعام والأناسي وذلك البعض كثير . فإن قلت : هل يكفر من ينسب الأمطار إلى الأنوار ؟ قلت : إن كان لا يراها إلا من الأنوار ويجحد أن تكون هي والأنواء من خلق ا : فهو كافر . وإن كان يرى أن ا خالقها وقد نصب الأنواء دلائل وأمارات عليها : لم يكفر .

" ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا " يقول لرسوله A " لو شئنا " لخففنا عنك أعباء نذارة جميع القرى . و " لبعثنا في كل قرية " نبيا ينذرها . وإنما قصرنا الأمر عليك وعظمناك به وأجللناك وفضلناك على سائر الرسل فقابل ذلك بالتشديد والتصبر " فلا تطع الكافرين " فيما يريدونك عليه وإنما أراد بهذا تهييجه وتهييج المؤمنين وتحريكهم " به " والضمير للقرآن أو لترك الطاعة الذي يدل عليه : " فلا تطع " والمراد : أن الكفار يجدون ويجتهدون في توهين أمرك فقابلهم من جدك واجتهادك وعضك على نواجذك بما تغلبهم به وتعلوهم وجعله جهادا كبيرا لما يحتمل فيه من المشاق العظام . ويجوز أن يرجع الضمير في " به " إلى ما دل عليه : " ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا " من كونه نذير كافة القرى لأنه لو بعث في كل قرية نذيرا لوجبت على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول ا A تلك المجاهدات كلها فكبر جهاده من أجل ذلك وعظم فقال له : " وجاهدهم " بسبب كونك نذير كافة القرى " جهادا كبيرا " جامعا لكل مجاهد